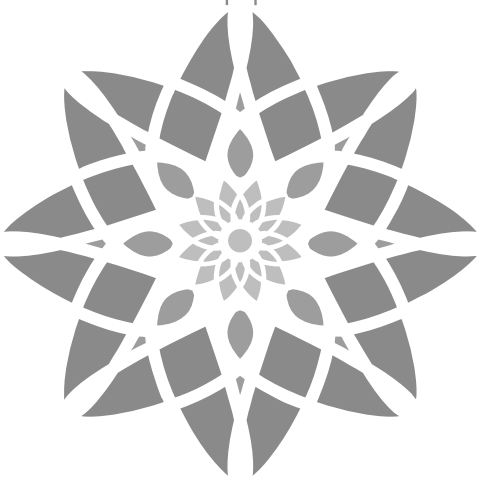


الباب السادس

عهد المماليك

(٦٤٨-٩٢٣هـ) (١٢٥٠- ١٥١٧م)

الفصل الأول
تاريخ المماليك (مصر والشام والحجاز)

مقدمة:

يُطلق على مرحلة التاريخ الإسلامي في الفترة (٦٤٨- ٩٢٣ هـ/ ١٢٥٠- ١٥١٧م) مرحلة العهد المملوكي، رغم أن دولة المماليك لم تحكم سوى مصر والشام والحجاز فقط، ويعود ذلك للأسباب التالية:

- حملت دولة المماليك صفة الخلافة الإسلامية، حيث ضمت خلفاء بني العباس وأعادت إليهم الخلافة (إسميًا فقط) بعد سقوطها.

- انتصر المماليك على المغول والتتار وأوقفوا زحفهم المدمر، وما استطاع أحد غيرهم تحقيق هذا الانجاز العظيم.

- أنهوا الوجود الصليبي من المشرق الإسلامي.

- خضعت لهم الحجاز، وهي مهوى أفئدة المسلمين، ومن يخضعها ينظر له بعين التقدير والتعظيم والطاعة والخضوع.

- تمتعت دولتهم بموقع استراتيجي متوسط بين شرق وغرب العالم الإسلامي.

- تصدوا لبدايات الغزو البرتغالي، ثم أكمل المهمة العثمانيون.

كل هذه الأسباب جعلت هذه الفترة الزمنية تحمل اسم العهد المملوكي.

أحوال العالم الإسلامي في هذه الفترة:

وضع المسلمين:

وصل المسلمون إلى درجة كبيرة من الضعف بسبب التشتت والبعد عن الإسلام والغزو الصليبي والمغولي. وتردت الأحوال الاقتصادية وانتشر الفقر في البلاد.

حالة السلاطين والخلفاء العباسيين:

أكثر سلاطين المماليك كانوا ضعفاء وكان الحسد والتباغض والمؤامرات منتشرة بينهم. وهذا كله زاد من ضعف المسلمين.

لم يكن وضع الخلفاء العباسيين في مصر أفضل من ذلك. فلم يكن لهم أدنى نفوذ أو تدخل في شؤون الدولة. فكيف يتدخل هؤلاء في شؤون من أحضرهم وآواهم.

الروح الدينية:

كانت الروح الدينية لدى المماليك والشعب عامة مرتفعة، يتضح ذلك من النشاط الديني الغزير في ذلك الوقت، فهي كانت من أغنى فترات التأليف الإسلامي. وظهر مشاهير العلماء أمثال: النووي، والعز بن عبد السلام، وابن تيمية، وابن القيم الجوزية، والذهبي، وابن كثير، وغيرهم.

حركة الجهاد:

من ناحية الغزو والجهاد فقد كان للمماليك دور بارز وأثر واضح. فقد أوقفوا الزحف المغولي الوحشي بانتصارهم في معركة عين جالوت العظيمة عام ٦٥٨ هـ/ ١٢٥٩ م.

وطردوا بقايا الصليبيين من بلاد المسلمين عام ٦٩٠ هـ/ ١٢٩١ م. وفي أواخر عهدهم وقفوا أمام التقدم الصليبي البرتغالي.

عيوب المماليك:

- جاءوا من مناطق مختلفة، لذا كثيرًا ما ظهر التنافر بينهم، وطالما نشأ عن هذا التنافر حروب وصراعات.

- كانوا معزولين عن الشعب في معسكرات خاصة، مما جعلهم يحسون بالانعزالية وبالفوقية أحيانًا لارتباطهم المباشر بسلطان البلاد.

- إحساسهم أنهم رقيق اشتروا بالمال، كون عند كثير منهم عقدة النقص وكان لهذا رد فعل عنيف في تطلعاتهم للسيادة.

- كانت القوة مسيطرة على مجتمعهم، ولا يستمر إلا السلطان القوي. لهذا السبب كثر الخلع والقتل بين هؤلاء السلاطين.

التعريف بالمماليك:

المماليك جمع مملوك وهو الرقيق، الذي اشتري بالمال، وكان سلاطين الدولة الأيوبية وهم صغار يجلبوهم من بلاد مختلفة أهمها: بلاد تركستان والقوقاز وآسيا الصغرى، وبلاد ما وراء النهر، وقاموا بعزلهم عن الناس في أبراج خاصة، وربوهم تربية دينية وعسكرية مناسبة، ثم كونوا منهم جيوشًا، وقد وصل عدد كبير منهم إلى مراتب رفيعة جدًا، وكانوا يتميزون بالشجاعة والإقدام، ولا يعرفون لهم ولاء إلا ولاء الإسلام الذي ينتمون إليه.

هل هم حقًا مماليك وعبيد؟

الحقيقة أنهم ليسوا مماليك أو عبيدًا، وإنما هم أحرار تمامًا وأن بيعهم باطل، لقد كانوا جميعًا صفقات غير مشروعة، كان الأب يبيع ابنه ليدفعه إلى المجد في القصور، وكان الأقوياء والنخاسون يخطفون الأطفال ويبيعونهم، والإسلام يرفض هاتين

الوسيلتين، ولا يجيء الرق في الإسلام إلا عن طريق الحرب الدينية التي يقصد بها الجهاد في سبيل الله.

لذا فهؤلاء من وجهة نظر الشرع الإسلامي أحرار وليسوا مماليك[1].

وينقسم عصر المماليك إلى فترتين (باتفاق معظم المؤرخين):

١- المماليك البحرية: (٦٤٨- ٧٩٢ هـ/ ١٢٥٠- ١٣٨٩م).

٢- المماليك البرجية: (٧٩٢- ٩٢٣ هـ/ ١٣٨٩- ١٥١٧م).

فدامت دولتهم ما يقارب ٢٧٥ عامًا.

وبدأ نفوذهم على العالم الإسلامي بعد انتصارهم في معركة عين جالوت على المغول سنة ٦٥٨ هـ/ ١٢٥٩ م.

أولاً: عصر المماليك البحرية ٦٤٨- ٧٩٢ هـ/١٢٥٠- ١٣٨٩ م:

جلبهم الملك الصالح نجم الدين أيوب. فبنى لهم قلعة في جزيرة الروضة سنة ٦٣٨ هـ/ ١٢٤٠ م، فعرفوا بالمماليك البحرية أو الصالحية.

الوصول إلى السلطة:

توفي الملك الصالح الأيوبي وقواته تقاتل الصليبيين بقيادة لويس التاسع، فأخفت زوجته المملوكة (شجرة الدر) خبر وفاته وأدارت شؤون البلاد باسمه فصارت بذلك أول ملكة في الإسلام، واستدعت ولده توران شاه ليتولى الأمر، فجاء وانتصر على الصليبيين بمساعدة المماليك سنة ٦٤٨ هـ/ ١٢٥٠ م.

(١) التاريخ الإسلامي/ أحمد شلبي جـ ٥/ ص ٢١٥.

بعد ذلك قتلته شجرة الدر، واستأثرت بالسلطة، واعترض الخليفة العباسي. فتزوجت كبير المماليك (عز الدين أيبك) وتنازلت له عن السلطة. حاول الملك الأيوبي الناصر يوسف (صاحب الشام) استرداد مصر فانهزم أمام المماليك.

قتلت شجرة الدر زوجها فقتلها المماليك انتقامًا منها سنة ٦٥٥ هـ/ ١٢٥٧ م، فتولى الأمر نور الدين بن عز الدين أيبك، وفي هذه الفترة دخل المغول بغداد ودمروها سنة ٦٥٦ هـ/ ١٢٥٨ م. وساروا نحو الشام، فتولى السلطة سيف الدين قطز، وأخذ يجهز للقاء المغول.

معركة عين جالوت:

في ١٥ رمضان عام ٦٥٨ هـ/ ١٢٥٩ م حدثت معركة عين جالوت المشهورة (قرب نابلس بفلسطين) بين المماليك بقيادة السلطان قطز وقائده الظاهر بيبرس وبين المغول بقيادة الطاغية كيتوبوقا (نائب هولاكو)، فانتصر المسلمون انتصارًا ساحقًا عظيمًا وطردوا المغول عن بلاد الشام. فأصبحت مصر والشام تابعة للمماليك.

فاستقرت لهم الأمور بعد ذلك.

وتعتبر هذه المعركة حدثًا تاريخيًا إسلاميًا عظيمًا، فهذا أول انتصار يحققه المسلمون على المغول، فحطموا بذلك أسطورتهم المرعبة. ولم ينتصر على المغول أحد قبلهم.

بعد عين جالوت!!

بعد الانتصار لاحق المماليك المغول شمالًا، فألحقوا بهم هزيمة أخرى منكرة في قيسارية (بآسيا الصغرى) واستردوها منهم.

سلاطين المماليك البحرية (٦٤٨- ٧٩٢ هـ/١٢٥٠- ١٣٨٩م)

م	السلطان	فترة الحكم من:	نهايته
١	شجرة الدر	٦٤٨ هـ/ ١٢٥٠ م	قتلت
٢	عز الدين أيبك	٦٤٨ هـ/ ١٢٥٠ م	قتل
٣	نور الدين علي ابن أيبك	٦٥٥ هـ/ ١٢٥٧ م	خلع
٤	سيف الدين قطز	٦٥٧ هـ/ ١٢٥٨ م	قتل
٥	الظاهر بيبرس	٦٥٨ هـ/ ١٢٥٩ م	توفي
٦	السعيد بركة- ابن بيبرس	٦٧٦ هـ/ ١٢٧٧ م	خلع
٧	العادل بدر الدين- ابن بيبرس	٦٧٨ هـ/ ١٢٧٩ م	خلع
٨	المنصور قلاوون	٦٧٨ هـ/ ١٢٧٩ م	توفي
٩	الأشرف خليل- ابن قلاوون	٦٨٩ هـ/ ١٢٩٠ م	قتل
١٠	الناصر محمد- ابن قلاوون	٦٩٣ هـ/ ١٢٩٣ م	خلع
١١	العادل كتبغا	٦٩٤ هـ/ ١٢٩٤ م	خلع
١٢	المنصور لاجين	٦٩٦ هـ/ ١٢٩٦ م	قتل
١٣	الناصر محمد- ابن قلاوون	٦٩٨ هـ/ ١٢٩٨ م	اعتزل
١٤	المظفر بيبرس- أبي شنكير	٧٠٨ هـ/ ١٣٠٨ م	قتل
١٥	الناصر محمد- ابن قلاوون	٧٠٩ هـ/ ١٣٠٩ م	توفي
١٦	المنصور أبو بكر- ابن محمد	٧٤١ هـ/ ١٣٤٠ م	خلع
١٧	الأشرف كجك- ابن محمد	٧٤٢ هـ/ ١٣٤١ م	خلع
١٨	الناصر أحمد- ابن محمد	٧٤٢ هـ/ ١٣٤١ م	خلع

١٩	الصالح إسماعيل- ابن محمد	٧٤٣ هـ/ ١٣٤٢ م	توفي
٢٠	الكامل شعبان- ابن محمد	٧٤٦ هـ/ ١٣٤٥ م	قتل
٢١	المظفر أمير حاج- ابن محمد	٧٤٧ هـ/ ١٣٤٦ م	قتل
٢٢	الناصر حسن- ابن محمد	٧٤٨ هـ/ ١٣٤٧ م	خلع
٢٣	الصالح صالح- ابن محمد	٧٥٢ هـ/ ١٣٥١ م	خلع
٢٤	الناصر حسن- ابن محمد	٧٥٥ هـ/ ١٣٥٤ م	قتل
٢٥	المنصور محمد- ابن أمير حاج	٧٦٢ هـ/ ١٣٦٠ م	خلع
٢٦	الأشرف شعبان- بن حسن	٧٦٤ هـ/ ١٣٦٢ م	قتل
٢٧	المنصور علي- بن شعبان	٧٧٨ هـ/ ١٣٧٦ م	توفي
٢٨	الصالح حاجي- ابن الأشرف شعبان	٧٨٣ هـ/ ١٣٨١ م	خلع
٢٩	الصالح حاجي- ابن الأشرف شعبان	٧٩١-٧٩٢ هـ/ ١٣٨٨-١٣٨٩ م	خلع

وأبرز هؤلاء السلاطين:

- سيف الدين قطز- الظاهر بيبرس- المنصور قلاوون- الناصر محمد.

أهم أحداث فترة (المماليك البحرية)

الخلافة العباسية في القاهرة:

استقدم الظاهر بيبرس (أحمد ابن الخليفة العباسي الظاهر) إلى القاهرة (وكان أحمد قد فر من بغداد بعد أن دمرها المغول). فبايعه الظاهر بالخلافة، ولقبه بالمستنصر عام ٦٥٩ هـ/ ١٢٦٠ م.

وكان هدف الظاهر بيبرس تقوية مركز الحكم في القاهرة، وكسب تأييد الأمصار الإسلامية وإحاطة عرش المماليك بالقداسة والشرعية ثم تعاقب الخلفاء العباسيين وعددهم ١٨ خليفة (انظر الجدول) خلال الفترة (٦٥٩- ٩٢٣هـ) (١٢٦٠- ١٥١٧م)، وهؤلاء الخلفاء ليس لهم من الخلافة سوى الاسم فقط فهم مجرد رمز، ولا يتدخلون في شؤون الحكم أبدًا، ولا حول لهم ولا طول ولا رأي في سياسة الأمور.

- في عام ٦٦٧ هـ/ ١٢٦٨ م بسط الظاهر بيبرس نفوذه على الحجاز.
- في الفترة (٦٦٠- ٦٩٠ هـ/ ١٢٦١- ١٢٩١م) جاهد المماليك الصليبيين واستعادوا منهم جميع المدن المتبقية عندهم في بلاد الشام.
- في عام ٦٨٠ هـ/ ١٢٨١ م هزم المنصور قلاوون التتار هزيمة منكرة.
- في عام ٧٠٢ هـ/ ١٣٠٢ م فتح الناصر محمد بن قلاوون جزيرة أرواد، وطرد الصليبيين منها، فانتهى وجودهم في المشرق الإسلامي.
- وفي نفس العام هزم التتار هزيمة منكرة في معركة (شقحب) قرب دمشق (واشترك في الجهاد شيخ الإسلام ابن تيمية).

خلفاء بني العباس في القاهرة

م	السلطان	فترة الحكم من:
١	المستنصر	٦٥٩ هـ/ ١٢٦٠ م
٢	الحاكم بأمر الله (الأول)	٦٦١ هـ/ ١٢٦٢ م
٣	المستكفي بالله (الأول)	٧٠١ هـ/ ١٣٠١ م
٤	الواثق بالله (الأول)	٧٣٦ هـ/ ١٣٣٥ م
٥	الحاكم بأمر الله (الثاني)	٧٤٢ هـ/ ١٣٤١ م
٦	المعتضد بالله (الأول)	٧٥٣ هـ/ ١٣٥٢ م
٧	المتوكل على الله (الأول)	٧٦٣ هـ/ ١٣٦١ م للمرة الأولى.. خلع
٨	الواثق بالله (الثاني)	٧٨٥ هـ/ ١٣٨٣ م
٩	المستعصم	٧٨٨ هـ/ ١٣٨٦ م
١٠	المتوكل على الله (الأول)	٧٩١ هـ/ ١٣٨٨ م للمرة الثانية
١١	المستعين بالله	٨٠٨ هـ/ ١٤٠٥ م خلع
١٢	المعتضد بالله (الثاني)	٨١٥ هـ/ ١٤١٢ م
١٣	المستكفي بالله (الثاني)	٨٤٥ هـ/ ١٤٤١ م
١٤	القائم بأمر الله	٨٥٤ هـ/ ١٤٥٠ م
١٥	المستنجد بالله	٨٥٩ هـ/ ١٤٥٤ م
١٦	المتوكل على الله (الثاني)	٨٨٤ هـ/ ١٤٧٩ م
١٧	المتمسك بالله	٨٩٣ هـ/ ١٤٨٧ م
١٨	المتوكل على الله (لثالث)	٩١٤ هـ/ ١٥٠٨ م تنازل للسلطان العثماني سليم سنة ٩٢٣ هـ/ ١٥١٧ م

ثانيًا: عصر المماليك البرجية ٧٩٢- ٩٢٣ هـ/١٣٨٩- ١٥١٧ م:

أصل المماليك البرجية:

أصلهم شراكسة، من بلاد الكرج (جورجيا) المشرفة على البحر الأسود اشتراهم السلطان قلاوون (أحد المماليك البحرية) لتثبيت السيادة في ذريته، وأطلق عليهم المماليك البرجية، لأن طائفة منهم سكنت في أبراج القلعة.

أهم الأحداث:

- في عام ٧٩٢ هـ/ ١٣٨٩ م خلع الصالح حاجي وعين السلطان برقوق فانتقلت السلطة من المماليك البحرية إلى المماليك البرجية.

- في عام ٨٠٣ هـ/ ١٤٠٠ م سار التتار بقيادة تيمور لنك إلى بلاد الشام فدمروها واحتلوها وسحقوا الجيش المملوكي (المدافع عن البلاد).

- في عام ٨٠٥ هـ/ ١٤٠٢ م زحف تيمور لنك نحو العثمانيين، وانتصر عليهم وسحق جيشهم عند أنقرة وأسر السلطان بايزيد، ووضعه في السجن إلى أن مات.

- في عام ٨٣٠ هـ/ ١٤٢٦ م انتصر المماليك انتصارًا عظيمًا على الصليبيين وأخرجوهم من جزيرة قبرص، وأسروا حاكمهم، وهددوا جزيرة رودس.

وصل البرتغاليون إلى الشواطئ الهندية، فاستنجد المسلمون هناك بالمماليك، فخرجوا لنجدتهم، ولكن انهزموا أمام البرتغاليين عام ٩١٥ هـ/ ١٥٠٩ م.

فقدم البرتغاليون إلى سواحل بلاد العرب. ودخلوا إلى البحر الأحمر.

المماليك البرجية (الجراكسة) ٧٩٢- ٩٢٣ هـ/١٣٨٩- ١٥١٧ م

م	السلطان	فترة الحكم من:	نهايته
١	الظاهر برقوق	٧٩٢ هـ/ ١٣٨٩ م	توفي
٢	الناصر فرج- ابن برقوق	٨٠١ هـ/ ١٣٩٨ م	خلع
٣	المنصور عبد العزيز- ابن برقوق	ثلاث أشهر	خلع
٤	الناصر فرج- مرة ثانية	٨٠٨ هـ/ ١٤٠٥ م	قتل
٥	المؤيد شيخ	٨١٥ هـ/ ١٤١٢ م	توفي
٦	المظفر أحمد- ابن المؤيد	عدة أشهر	خلع
٧	الظاهر ططر	عدة أشهر	توفي
٨	الصالح محمد- ابن ططر	عدة أشهر	خلع
٩	الأشرف برسباي	٨٢٥ هـ/ ١٤٢١ م	توفي
١٠	العزيز يوسف- ابن برسباي	عدة أشهر	خلع
١١	الظاهر جقمق	٨٤٢ هـ-١٤٣٨ م	توفي
١٢	المنصور عثمان- ابن جقمق	عدة أشهر	خلع
١٣	الأشرف اينال	٨٥٧ هـ/ ١٤٥٣ م	توفي
١٤	المؤيد أحمد- ابن اينال	عدة أشهر	خلع
١٥	الظاهر خشقدم	٨٦٥ هـ/ ١٤٦٠ م	توفي
١٦	الظاهر بلباي	شهرين	خلع
١٧	الظاهر تمر بغا	شهرين	خلع
١٨	خير بك	ليلة واحدة	خلع

م	السلطان	فترة الحكم من:	نهايته
١٩	الأشرف قايتباي	٨٧٢ هـ/ ١٤٦٧ م	توفي
٢٠	الناصر محمد- ابن قايتباي	٩٠١ هـ/ ١٤٩٥ م	خلع
٢١	قانصوه	٩٠٢ هـ/ ١٤٩٦ م	قتل
٢٢	الناصر محمد- للمرة الثانية	٩٠٣ هـ/ ١٤٩٧ م	قتل
٢٣	الظاهر قانصوه	٩٠٤ هـ/ ١٤٩٨ م	خلع
٢٤	جنبلاط	٩٠٥ هـ/ ١٤٩٩ م	قتل
٢٥	العادل طومان باي (لأول)	عدة أشهر	قتل
٢٦	الأشرف قانصوه الغوري	٩٠٦ هـ/ ١٥٠٠ م	قتل
٢٧	طومان باي (الثاني)	٩٢٢- ٩٢٣هـ/ ١٥١٦-١٥١٧م	قتل

وأبرز هؤلاء الحكام:

- الأشرف برسباي -الأشرف قايتباي- الأشرف قانصوه الغوري.

نهاية العهد المملوكي:

تحالفت الدولة الصفوية الشيعية مع البرتغاليين ضد العثمانيين الذين طلبوا من المماليك مساعدتهم للقضاء على عدوهم المشترك. رفض المماليك المساعدة، وكذلك منعوا دخول العثمانيين إلى أملاكهم للوقوف في وجه البرتغاليين.

تمكن السلطان سليم العثماني من هزيمة الدولة الصفوية في معركة (جالديران) المشهورة عام ٩٢٠ هـ/ ١٥١٤ م. ودخل عاصمتهم تبريز وأصبحت العراق تابعة للعثمانيين وقضى بعدها على دولة المماليك في بلاد الشام في معركة (مرج دابق) في حلب، وقتل فيها السلطان قانصوه الغوري سنة ٩٢٢ هـ/ ١٥١٦ م.

ثم واصل السلطان سليم زحفه نحو مصر، وانتصر على المماليك في معركة (الريدانية) في القاهرة، وقتل السلطان طومان باي. وأنهى بذلك سلطان المماليك فتنازل له آخر خليفة عباسي بالقاهرة عن الخلافة وهو المتوكل على الله تم ذلك في عام ٩٢٣ هـ/ ١٥١٧ م، وهكذا صارت الشام ومصر خاضعة للعثمانيين. وقدم أشراف الحجاز إلى القاهرة وقدموا فروض الطاعة للخليفة العثماني وأعلنوا خضوع الحجاز له.

وبذا انقرضت دولة المماليك. وانتقلت الخلافة الإسلامية إلى الدولة العثمانية[١].

أعظم أعمال المماليك:

لعب المماليك في تاريخنا الإسلامي دورًا هامًا جدًا. فصار لهم الفضل بعد الله تعالى في دحر القوى المغولية والصليبية، حيث إنهم:

١- أوقفوا زحف المغول المدمر، وصدوه عن العالم الإسلامي.

٢- حاربوا الصليبيين، حتى أخرجوا من تبقى منهم في بلاد المسلمين في الفترة (٦٦٠- ٦٩٠ هـ/ ١٢٦١- ١٢٩١م)[٢].

ونلاحظ أن أهم عوامل انهيار دولتهم ما يلي:

١- تركهم الجهاد، (وما تركه قوم إلا ذلوا).

٢- انقسامهم، وخلافاتهم الداخلية وكثرة الصراعات بينهم.

٣- اكتشاف رأس الرجاء الصالح من قبل البرتغاليين. مما أفقد مصر جزء كبير من أهميتها.

٤- فشلوا في إيقاف الزحف البرتغالي.

وكان البرتغاليين قد وصلوا إلى البحر المتوسط والبحر الأحمر.

٥- بروز القوة العثمانية. وهي التي قضت عليهم أخيرًا.



(١) العهد المملوكي/ محمود شاكر، ص ٩١.

(٢) سقوط ٣٠ دولة إسلامية/ عبد الحليم عويس، ص ١٢٨- ١٣٠.

أحوال البلاد الإسلامية في عهد المماليك

الفصل الثاني: الأحوال في جزيرة العرب

(٦٥٦- ٩٢٣ هـ/ ١٢٥٨- ١٥١٧م)

ضعف شأن جزيرة العرب عمومًا منذ العصر العباسي. وفي أواخر هذه المرحلة تعرض جنوب الجزيرة وعمان والبحرين للغزو الصليبي البرتغالي، وقاتلهم المماليك. ثم قضى العثمانيون عليهم.

أولاً: الحجاز:

التبعية العامة:

صار الحجاز تابعًا منذ العصر العباسي الثاني، فخضع للأخيضريين الشيعة (٣٣٥- ٣٥٠ هـ/ ٩٤٦- ٩٦١م) ثم للقرامطة المنحرفين (٣٥٠- ٣٥٩ هـ/ ٩٦١- ٩٦٩م) ثم للإسماعيلية الباطنية (٣٥٩- ٤٦٣ هـ/ ٩٦٩- ١٠٧٠م) ثم للسلاجقة (٤٦٣- ٥٦٧ هـ/ ١٠٧٠- ١١٧١م) ثم للأيوبيين (٥٦٧- ٦٥٠ هـ/ ١١٧١- ١٢٥٢م) ثم للمماليك (٦٥٠- ٩٢٣ هـ/ ١٢٥٢- ١٥١٧هـ)، ثم خضع للعثمانيين منذ سنة ٩٢٣ هـ/ ١٥١٧ م.

السلطة الفعلية:

هذا بالنسبة للتبعية العامة، أما السلطة الفعلية فكانت لأسر تنتسب أو تدَّعي الانتساب إلى الحسن والحسين أبناء علي بن أبي طالب. فقد سيطر بنو موسى باسم الفاطميين (٣٥٩- ٤٥٣ هـ/ ٩٦٩- ١٠٦١م)، ثم جاء بنو هاشم (بنو فليته) في الفترة (٤٥٣- ٥٩٨ هـ/ ١٠٦١- ١٢٠١م).

ثم حكم الحجاز أسرة الشريف قتادة بن أدريس من سلالة الحسن بن علي، وتبعت الأيوبيين فالمماليك، ثم العثمانيين، واستمر حكمها في الفترة (٥٩٨- ١٣٤٣ هـ/ ١٢٠١- ١٩٢٤م). وكانت المدينة المنورة تخضع لأشراف ينتمون إلى الحسين ابن علي، وتتبع مكة غالبًا.

كان الصراع والتناحر على الشرافة على أشده بين أبناء هذه الأسر مما يؤدي إلى تدخل الدول الحاكمة مثل الأيوبيين والمماليك في بعض الأحيان.

وأبرز أشراف مكة خلال هذه الفترة:

- محمد أبو نمي (الأول) ٦٤٧- ٧٠١ هـ/ ١٢٤٩- ١٣٠١ م.
- محمد بركات ٨٥٩- ٩٠٣ هـ/ ١٤٥٤- ١٤٩٧ م.
- محمد أبو نمي (الثاني) ٩٣١- ٩٩٢ هـ/ ١٥٢٤- ١٥٨٤ م.

ثانيًا: اليمن:

ارتفع شأن اليمن في عهد المماليك، وحكمت هناك أسرتان:

- بنو رسول ٦٢٦- ٨٥٨ هـ/ ١٢٢٩- ١٤٥٤ م.
- بنو طاهر ٨٥٨- ٩٢٣ هـ/ ١٤٥٤- ١٥١٧ م

أ- دولة بني رسول (٦٢٦- ٨٥٨هـ):

وهم جماعة من التركمان، ويقال أنهم ينتمون إلى الغساسنة، يعودون إلى جدهم محمد ابن هارون الذي اتخذه خليفة عباسي رسولًا فعرف بالرسول، قدموا إلى اليمن مع الأيوبيين سنة ٥٦٩ هـ، وكانوا قوادًا في الجيش. وكان الأيوبيون ينيبونهم عنهم ويعتمدون عليهم.

في سنة ٦٢٦ هـ بعد أن ضعفت الدولة الأيوبية سيطر المنصور عمر على البلاد وأسس دولته، وجعل عاصمتها تعز.

طالت مدة بني رسول باليمن فاستمرت أكثر من قرنين. واتسع ملكهم فشمل أكثر بقاع اليمن الشمالية والجنوبية بما في ذلك حضرموت. ووصل نفوذهم إلى مكة واستطاعوا قهر الأئمة الزيدية في معظم الأحوال.

ويذكر الخزرجي أن الدولة الرسولية تعد أعظم دولة وطنية يمنية عرفها التاريخ منذ سقوط الدولة الحميرية. وقد قامت بإنهاض البلاد وتعميرها ونشر العلوم بها ونبغ من أفرادها علماء عباقرة في كل المجالات[1].

نهاية الدولة:

كثرت الصراعات والمنافسات بين أمراء الأسرة. وآذن ذلك بقرب نهايتها وعندما سافر السلطان مسعود (آخر سلاطينهم) إلى مصر استبد عبيده بالسلطة، وأساءوا التصرف، فلجأ الناس إلى بني طاهر أبرز عمال بني رسول لينقذوهم من هؤلاء العبيد. فقام بنو طاهر بدورهم. واحتفظوا بالسلطة لصالحهم.

وأبرز الحكام:

- المنصور عمر (٦٢٦- ٦٤٧هـ).
- المظفر يوسف بن عمر (٦٤٧- ٦٩٤هـ).
- الأشرف إسماعيل (٧٧٨- ٨٠٣هـ).

ب- دولة بني طاهر (٨٥٨- ٩٢٣ هـ/١٤٥٤- ١٥١٧م):

ويقال أنهم ينتمون إلى بني أمية، الذين قدم جزء منهم إلى اليمن وعسير عقب انهيار دولتهم.

(١) العقود اللؤلؤية/ الخزرجي، جـ١.

وقد كانوا نوابًا لبني رسول على عدن. استقل الظافر علي بن طاهر بعدن وزبيد، بسبب الفساد والظلم الذي استشرى في أواخر عهد الرسوليين. وذلك في عام ٨٥٨ هـ.

كان الصراع بين بني طاهر وبين الأئمة يمثل الصراع بين الشمال والجنوب، ومن هنا كان الصراع عنيفًا وشديدًا، وكلًا يريد الاستئثار بأكبر منطقة نفوذ، وكان لبني طاهر إسهامات حضارية جيدة في اليمن فهم بنوا مدينة المقرانة في رداع. وشيدوا العمران والمدارس والمساجد. وشهدت البلاد نهضة علمية ممتازة في هذا العهد.

نهاية بني طاهر:

وصل الغزو البرتغالي إلى جنوب الجزيرة عام ٩١٢ هـ. فبدأوا باليمن، رفع المماليك راية الجهاد ضدهم، وللأسف لم يتعاون الطاهريون معهم، بل وقفوا ضدهم وحاولوا قطع المواد الغذائية عنهم. انتصر المماليك على البرتغاليين وطردوهم سنة ٩٢١ هـ/ ١٥١٥م، ثم قضى المماليك على الطاهريين في معركة (الصافية)- وقتلوا ملكهم الظافر عامر سنة ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م.

وكانت دولة الطاهريين قد وصلت في عهد هذا الظافر أوج اتساعها وقوتها، بقيت اليمن تحت نفوذ المماليك إلى أن سقطت دولتهم في مصر والشام. فانسحبوا من اليمن ودخلت اليمن تحت السيطرة العثمانية سنة ٩٤٥ هـ.

أبرز حكام الطاهريين:

- الظافر (الأول) عامر (٨٥٨- ٨٧٠هـ).
- الظافر (الثاني) عامر (٨٩٤- ٩٢٣هـ).

ثالثًا: اليمامة:

كان شأن اليمامة ضعيفًا في العصر العباسي، فخضعت للدولة الأخيضرية (الشيعية)، وبعد زوالهم تفرق شمل قبائلها وعمت الفوضى، وكانت السيطرة للأقوى.

وفي هذا العصر ازدادت الأحوال سوءًا، فكانت القبائل في صراع وتناحر مستمر ويتدخل في شؤونها أشراف الحجاز حينًا أو حكام شرق الجزيرة أحيانًا أخرى، حيث تستمد القوة من هذا الجانب أو ذاك. واستمر هذا الوضع إلى ما بعد هذا العصر حتى ظهرت في نجد دعوة الشيخ السلفي محمد بن عبد الوهاب وآزره فيها أمير الدرعية محمد بن سعود سنة ١١٥٨هـ/ ١٧٤٥م، فتبدلت الأوضاع وزال الجهل والظلام والخرافات. وأصبحت نجد وما حولها دولة واحدة قوية. سرعان ما توحدت كل الجزيرة العربية تحت رايتها (وهي الدولة السعودية).

- كما سنرى في الباب القادم -

رابعًا: البحرين:

كلمة البحرين قديمًا تشمل باصطلاحنا اليوم (المنطقة الشرقية من السعودية، والكويت، وقطر، والبحرين، وجزء من الإمارات المتحدة).

خضعت البحرين للقرامطة الملاحدة في الفترة (٢٨٧- ٤٧٠ هـ/ ٩٠٠- ١٠٧٧م)، فعاثوا فيها فسادًا وظلمًا وإجرامًا.

حكمت الدولة العيونية المنطقة في الفترة (٤٧٠- ٦٤٢ هـ/ ١٠٧٧- ١٢٤٤م) وذلك بعد أن قضت على دولة القرامطة بمساعدة العباسيين والسلاجقة، وبعد انهيار الدولة العيونية خضعت المنطقة لنفوذ الفرس وحكمتها أسر محلية أشهرها أسرة بني عقيل.

آل عصفور:

من قبائل بني عقيل. حكموا المنطقة في الفترة (٦٥١- ٧٠٥ هـ/ ١٢٥٣- ١٣٠٥م).

آل جروان:

وهم بطن آخر من بني عقيل. وواصلوا الحكم إلى سنة ٨٢١ هـ/ ١٤١٨ م.

آل جبر:

وهم أيضًا من بطون آل عقيل. وحكموا في الفترة (٨٢١- ٩٢٨ هـ/ ١٤١٨- ١٥٢١م)، وأبرز حكام هذه القبيلة سيف بن زامل الجبري وأخوه أجود بن زامل الذي اتسع سلطانه حتي ضم عمان. بعد ما ضعف وتفرق آل جبر وأخضع البرتغاليون المنطقة.

البرتغاليون في شرق الجزيرة:

كان البرتغاليون أسبق الأوربيين صلة بمنطقة الخليج، فقد وفدوا إليه عقب انتصاراتهم ضد المسلمين في الأندلس. وقد بدأت صلاتهم بهذه المنطقة عقب نجاح رحلة فاسكودي جاما التي بدأت سنة ٩٠٢ هـ/ ١٤٩٦ م وطاف بها حول رأس الرجاء الصالح. فكشف طريقًا للهند والشرق الأقصى دون المرور بالبحر المتوسط والبحر الأحمر. في سنة ٩١٣ هـ/ ١٥٠٧ م أخضعوا جزيرة هرمز ثم احتلوا صحار ومسقط. قاوم العرب مقاومة عنيفة لطرد البرتغاليين وتمكنوا من طردهم من الخليج سنة ١٠١١ هـ/ ١٦٠٢ م. ولم تأت سنة ١٠٦١ هـ/ ١٦٥٠ م حتى كان البرتغاليون فقدوا كل ممتلكاتهم في الخليج العربي وعمان نهائيًا. سيطر العثمانيون على المنطقة سنة ٩٥٧ هـ/ ١٥٥٠ م.

خامسًا: عمان:

الأئمة الأباضية:

في العهد الأموي سيطر عليها الخوارج الأباضيون، استمرت سيطرة الأئمة الأباضية ابتداءًا من ١٣٥ هـ/ ٧٥٢ م وحتى القرن التاسع الهجري/ الخامس الميلادي تخللها فترات انقطاع، وظهور أسر حاكمة ورغم أن الأباضيين كانوا يصلون إلى الإمامة بالانتخاب إلا أن أغلبهم كان معروفًا بالفساد والظلم وسوء السيرة. ثم أخضعها العباسيون في فترة قوتهم. وخرجت من أيديهم مع بدايات القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي.

العصور المجهولة في عمان:

خلال الفترة من القرن ٤- ١٠ هـ/ ١٠- ١٦ م دخلت عمان في فترة حرجة مجهول في مجمله.

والتي أحدثت دمارًا وتخلفًا وصراعًا هائلًا في البلد. وآثار حروب الزنج والقرامطة والتي وصلت إلى عمان.

وقد حاول القرامطة غزوها واحتلالها مرتين، ففشلوا.

ملوك آل نبهان في عمان (٥٤٣-١٠٢٤هـ/١١٤٨-١٦١٥م):

كانوا ولاة للبويهيين في عمان في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، وفي عصور الفوضى والخراب استبدوا بالسلطة واستبدوا بباقي خيرات البلاد، وتركوا الأهالي للضياع. وكان هؤلاء معروفين بالخراب والفوضى والظلم.

الغزو البرتغالي لعمان ٩١٣- ١٠٣٤ هـ/١٥٠٧- ١٦٢٤ م:

تعرضت عمان للغزو والاحتلال البرتغالي (كما ذكرنا سابقًا) بعد اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح قدم المستعمر البرتغالي إلى المنطقة.

وبدأ بعمان التي كانت مركزًا تجاريًا هامًا، وكانت في الوقت نفسه تصلح لحماية الخط البرتغالي إلى أبعد حد. وتقوي سيطرته على تلك المنطقة الاستراتيجية ذات الموقع الملاحي الممتاز.

احتلوا الجزر والسواحل فدمروها وأحرقوها وارتكبوا أبشع الجرائم ضد المسلمين ثم احتلوا هرمز العاصمة، وأخضعوا أسرة آل نبهان، ثم عادوا إلى الهند سنة ٩١٥هـ/ ١٥٠٩ م. وفي سنة ٩٢١ هـ/ ١٥١٥ م اتجهت الحملة البرتغالية إلى الخليج مرة ثانية واحتلت هرمز ثانية وقتلت الحاكم، ثم عادت إلى الهند وتركت حامية في عمان.

وبدأت مقاومة السكان الباسلة منذ عام ٩٢٨ هـ/ ١٥٢١ م، وقد استخدم العدو أبشع وسائل القمع ضدها. فاستمرت المقاومة إلى أن قدم العثمانيون وطردوا البرتغاليين وصارت المنطقة تحت النفوذ العثماني.

-والتفاصيل في الباب التالي-





الفصل الثالث
المغول وتاريخ العراق

سقطت الخلافة العباسية على أيدي المغول -كما ذكرنا من قبل- وحكموا العراق بعد ذلك. ومن هنا كان لا بد أن نتكلم كلمة موجزة عن المغول.

أصل المغول وطباعهم:

هم قبائل كبيرة يمثلون شعب بدوي كان يسكن البراري. وهم رعاة عاشوا على السهول الواسعة في الهضبة الأسيوية (هضبة منغوليا) الفسيحة التي تمتد من أواسط آسيا جنوبي سيبريا وشمال التبت وشرقي تركستان.

عملوا بالرعي والصيد. وكانت تعيش بجوارهم حضارات وممالك لها شأن فكانوا يغيرون على أطرافها كلما استطاعوا ذلك. وكان معظمهم من الوثنيين ومن عبدة قوى الشر كالجن والشياطين. وتنتشر عندهم الإباحية.

وقد عرفوا في حروبهم باللؤم والغدر، ونقض العهود وإراقة الدماء وسلب كل شيء، والعدوان على الأعراض[1].

(١) المغول في التاريخ/ فؤاد الصياد، ص ٣٤٥.

أعظم زعماء المغول (المرتبطين بالعالم الإسلامي)

جنكيز خان (القرن ٧ هـ/١٢- ١٣م):

أعظم قوادهم على الإطلاق وهو الذي أخضع جميع المغول والتتار تحت حكمه ووحدهم وكون منهم جيوش جرارة، وهو واضع دستور المغول الشهير (الياسا)، زحف بجيوشه على الدولة الخوارزمية فدمرها واستولى على بلاد ما وراء النهر (بمدنها الشهيرة بخارى وبلخ ونيسابور وسمرقند وغيرها ومعظم إيران) (انظر الدولة الخوارزمية).

هولاكو (٧ هـ/١٣م):

زحف إلى المشرق الإسلامي، فدمر بغداد، وقتل معظم سكانها، وقتل آخر الخلفاء العباسيين (المستعصم) فأنهى بذلك الخلافة العباسية. واستمر في زحفه ودمر بعض مدن الشام. ولم يتوقف إلا بعد أن مُنِيَ جيشه بهزيمة ساحقة أمام المماليك في معركة عين جالوت ٦٥٨ هـ/ ١٢٥٩ م، وقد أقام الإمارة الايلخانية في العراق (التي أصبحت ولاية تابعة له).

تيمور لنك (القرن ٨ هـ/١٤م):

اكتسح بلاد فارس والعراق والشام وتركيا (وسيأتي الحديث عنه لاحقًا).

ظهير الدين بابر (القرن ١٠ هـ/١٥- ١٦م):

مؤسس إمبراطورية المغول (المسلمة) في الهند، وقد استمرت خلال الفترة (٩٣٢- ١٢٢٧ هـ/ ١٥٢٦- ١٨٥٨ م).

الدولة الايلخانية (في العراق) ٦٥٦- ٧٣٦ هـ/١٢٥٨- ١٣٣٥ م:

(ايلخان) معناه الخان الكبير وهو لقب هولاكو بعد انتصاراته وصار وراثيًا في نسله. وهو مؤسس هذه الدولة بعد سقوط الدولة العباسية. وصارت العراق تحت

حكم الايلخانيين، ولاية ضمن الولايات الكثيرة الخاضعة لهم (وكانت مقر حكمهم أذربيجان). وتجمع المصادر التاريخية على أن الفساد وعدم الاستقرار وإهمال مصالح الرعية كانت أبرز مظاهر إدارة العراق الايلخانية.

وأبرز سلاطينهم وأفضلهم السلطان محمود غازان (٦٩٥- ٧٠٤هـ/ ١٢٩٥- ١٣٠٤م). وكان قد أسلم فأسلمت معه كل أسرته وغدت الدولة مسلمة. وله إصلاحات كثيرة في بغداد التي دمرها الغزو المغولي تمامًا.

الدولة الجلائرية (في العراق) ٧٣٦- ٨١٣ هـ/١٣٣٥- ١٤١٠ م:

بعد أن توفي آخر حاكم ايلخاني لم يعقب ذرية، فشب الصراع بين الطامعين واستطاع حسن بن حسين جلائر أن يستولي على السلطة ويؤسس دولته، وهو أمير مغولي ليس من أحفاد هولاكو، وقد استطاع أبناؤه أن يضموا أذربيجان وتبريز والموصل وديار بكر، وكانوا يعتنقون المذهب الشيعي.

تيمور لنك وآل جلائر:

وفي عهد آل جلائر مرت بالعراق عاصفة مغولية جديدة يقودها تيمور لنك، الذي كان ينتقل من فتح إلى فتح على رأس جيوش جرارة من الشرق. ووصل إلى بغداد سنة ٧٩٦ هـ/ ١٩٩٣ م فاستولى عليها بعد أن هرب حاكمها الجلائري/ أحمد بن أويس.

وبعد وفاة تيمورلنك سنة ٨٠٧ هـ/ ١٤٠٥ م وتفكك إمبراطوريته عاد أحمد الجلائري إلى العراق، وكانت الدولة قد فقدت أهميتها وضعفت تمامًا.

كان عهد الجلائريين بالعراق عهد صراع ودمار بسبب خلافاتهم الداخلية، وبسبب هجوم تيمورلنك، وبسبب الصراع المدمر بينهم وبين القرة قيونليه الذين استطاعوا الاستيلاء على الحكم أخيرًا.

دولة القره قوينلو (أو الأسرة التركمانية الأولى) في العراق ٧٨٢- ٨٧٢ هـ/١٣٨٠- ١٤٦٧م:

قره قوينلو معناها (ذوو الخراف السود) وذلك لأن هذه القبيلة عرفت بتربية هذا النوع منذ عهد بعيد، وهي قبيلة تركمانية جاءت في الأصل من تركستان الغربية، وكان جد هذه القبيلة يعمل في خدمة السلطان أويس الجلائري.

بدأت سلطة الأسرة في الموصل سنة ٧٧٦ هـ/ ١٣٧٤ م عندما استولى بيرام (جد القبيلة) على الموصل وبعض المناطق بعد وفاة السلطان أويس. وتعاقب أبناؤه من بعده، وعاصرت الأسرة اجتياح تيمور لنك للمنطقة. وفرت إلى مصر وبعد تيمورلنك استردت هذه الأسرة كل ممتلكاتها. ثم حصل أن قتل السلطان قره يوسف السلطان أحمد الجلائري، واستبد بالأمر في كل المناطق الخاضعة للجلائريين ثم اتسع ملك هذه العشيرة فامتد من تبريز إلى شط العرب. وأصبحت فارس وكرمان تابعة لهذه المملكة وكانت تبريز العاصمة الرئيسية، أما بغداد والعراق فكانت ولاية من الولايات التابعة لهذه العشيرة. وقد نعمت بغداد بشيء من السلم في هذه الفترة. واختتم عهد هذه الأسرة بصور من الصراع وضعت حدًّا لهم للأبد[١].

دولة آلاق قوينلو (أو الأسرة التركمانية الثانية) في العراق ٨٠٦- ٩١٤هـ/١٤٠٣- ١٥٠٨م.

دولة تركمانية أخرى حكمت العراق أكثر من قرن، ولم يعرف العراق الاستقرار خلال هذا العهد الأسود، وكان التطاحن والصراع مستمرًا بين أمراء هذه الأسرة. وبينهم وبين جيرانهم.

(١) التاريخ الإسلامي/ أحمد شلبي، جـ ٧.

أما الجانب الحضاري فكان مهملًا تمامًا فجهل الحكام انعكس على الشعب. وتُنُوسِيَ تاريخ العراق العظيم، وأصبحت ولاية ضمن الولايات الكثيرة التي امتد لها ملك هؤلاء التركمان.

والمؤسس الحقيقي للدولة التركمانية الثانية هو بهاء الدين عثمان. شمل حكم هذه الأسرة بلاد فارس والعراق وديار بكر وأذربيجان. وكان عصر آلاق قوينلو عصرًا حافلًا بالاضطراب والحروب والفساد، فكثرت فيه المجاعات، وانحلت الإدارة، واستمر تدهور الأسرة إلى أن سقطت بغداد في يد الدولة الصفوية سنة ٩١٤ هـ/ ١٥٠٨ م. وأصبحت العراق تابعة للصفويين.

-وسيأتي الحديث عنهم في الباب القادم-

الدولة التيمورية ٧٧١- ٩٠٧ هـ/١٣٦٩- ١٥٠٠م:

(بلاد ما وراء النهر والهند وخراسان وإيران والعراق والشام والأناضول):

تيمورلنك هذا هو آخر عظماء المغول، وكما ذكرنا سابقًا قدم من الشرق على رأس جيوش جرارة، وأخذ يمر من فتح إلى فتح ولم يقف أحد في وجهه حتى مات. وكانت العراق من ضمن المناطق التي أخضعها في هذه الفترة. ومن هنا جاء الحديث عنه:

هـ. تيمور لنك (٧٧١- ٨٠٧ هـ/١٣٦٩- ١٤٠٤م):

أصله وبدايته:

تشتت شمل المغول في النصف الثاني من القرن الثامن الهجري واستقل كل زعيم بمنطقته وكثر القتال بينهم. فظهر تيمورلنك، وكان الجو مناسبًا له.

وينتمي تيمورلنك إلى قبيلة البرلاس التركية. وكان أحد أجداده مقربًا من جنكيز خان.

غزواته:

وهو مسلم شيعي متعصب وعرف عنه أنه طاغية، جبار، يعشق سفك الدماء والتدمير، وكان يبيد الجيوش المهزومة بأكملها. ويكون جبال من جماجم المهزومين.

استولى على بلاد ما وراء النهر وجعل سمرقند عاصمة له سنة ٧٧١ هـ/ ١٣٦٩ م دخل موسكو وأخضع الروس عام ٧٨٣ هـ/ ١٣٨١ م. في الفترة (٧٨٢- ٧٨٦ هـ/ ١٣٨٠ - ١٣٨٤م) استولى على خراسان وجرجان ومازندار وسجستان وأفغانستان وفارس وأذربيجان وكردستان.

دخل بغداد عام ٧٩٦ هـ/ ١٣٩٣ م، أخضع دلهي وكشمير في شمال الهند عام ٨٠٠ هـ/ ١٣٩٧ م، ثم أخضع شرق الأناضول.

سنة ٨٠٤ هـ/ ١٤٠١م سحق جيش المماليك وأخضع بلاد الشام.

سنة ٨٠٥ هـ/ ١٤٠٢م هزم العثمانيين وأسر سلطانهم بايزيد وسجنه حتى مات، وأخرج بقايا الصليبيين من أزمير. سار إلى بلاد الصين فمات في الطريق عام ٨٠٧ هـ- ١٤٠٤م.

الدولة التيمورية بعد تيمور لنك:

ضعفت البلاد بعده وتفرقت إلى أجزاء. وأبرز من حكم الدولة التيمورية بعد تيمور لنك ابنه شاه رخ (٨٠٧- ٨٥٠ هـ/ ١٤٠٤- ١٤٤٦م).

زالت دولة تيمور لنك حوالي عام ٩٠٧ هـ/ ١٥٠٠ م حيث كان كل زعيم استقل بمنطقته. كان فرع من أسرة تيمور لنك قد حكم الهند وهم أحفاد ظهير الدين بابر ٩٣٢ هـ/ ١٥٢٦ م. وقد استمروا إلى أن قضى عليهم الاستعمار الإنجليزي سنة ١٢٧٤ هـ/ ١٨٥٧ م. ووضع بدلهم الهندوس الوثنيين.

خاتمة عن المغول:

ارتبط اسم المغول في أذهاننا بالبربرية والقسوة والتخريب، نتيجة ما فعلوه في بداياتهم. غير أن هذا الشعب لم يلبث أن بدأ يدخل في الإسلام، ولم ينقض على اجتياحه بلاد الإسلام ٣٥ سنة، كما لم يمضِ نصف قرن حتى غدا كله مسلمًا. وأصبح يدافع عن ديار الإسلام.

وعادةً الشعب المغلوب يأخذ بحضارة الشعب الغالب. ولكن هنا انعكست هذه القاعدة، فأخذ المغول وهم الغالبون بحضارة المسلمين وهم الشعب المغلوب. فالمغول لم تكن لهم حضارة. وقد أحسوا أن المسلمين أفضل منهم. وأخيرًا ذابوا في المجتمع الإسلامي الذي عاشوا فيه وأصبحوا مسلمين.





الفصل الرابع
المسلمون في الهند

(٦٥٦ - ٩٢٣ هـ/ ١٢٥٨ - ١٥١٧م)

الهند بلاد واسعة الأرجاء، كثيرة الشعوب، واللغات والأديان، ومن الصعب قيام حكم مركزي شامل فيها، فتحها المسلمون، وأقاموا في عاصمتها دلهي وتوسعوا فيها، ثم انقسموا إلى دويلات كثيرة، متفرقة، ومتناحرة.

وقد وقع حكام الهند المسلمون في خطأ فادح جدًا، ما زال مسلمو الهند يدفعون ثمنه إلى الوقت الحاضر، وهذا الخطأ هو الاكتفاء بالسيطرة على البلاد والعباد. ونسيان المهمة الأولي وهي نشر الدعوة الإسلامية. لذا بقي أكثر السكان على وثنيتهم. وهذا الخطأ كان يجر الويلات على هؤلاء الحكام، فكلما أحس الهندوس الوثنيين بضعف الحكام المسلمين قاموا بالثورات والحركات ضدهم، وهم اليوم ولكونهم أكثرية يرتكبون أفظع الجرائم وأبشع المذابح ضد المسلمين.

وتاريخ الهند في هذه الحقبة غامض علينا، لكثرة الأسر الحاكمة، ولتداخل مناطق حكمها، وبعد المنطقة عنا.

ملخص عن تاريخ المسلمين في الهند قبل عام ٦٥٦ هـ/١٢٥٨ م:

- توجه أول جيش إسلامي إلى الهند في عهد عمر بن الخطاب سنة ١٥ هـ/ ٦٣٦ م.
- استمر الغزو مرات عديدة ولكن بدون نتيجة تذكر.
- في عهد الوليد بن عبد الملك الأموي فتحت السند على يد القائد محمد بن القاسم الثقفي خلال الفترة (٩٣ - ٩٦هـ/ ٧١١ - ٧١٤ م).
- خضعت للدولة العباسية التي توسعت فيها ففتحت أجزاء من الملتان وكشمير سنة ١٥١ هـ/ ٧٦٨ م.

ثم عصر الإمارات الإسلامية بالهند ١٩٨- ٣٩٢ هـ/٨١٣- ١٠٠١ م:

ظهرت أغلب هذه الإمارات في فترة ضعف الخلافة العباسية نتيجة سيطرة الأتراك على السلطة، وكانت على أجزاء محدودة من الهند، وأشهر هذه الإمارات هي:

- الدولة الماهانية بالسندان سنة ١٩٨ هـ ومؤسسها هو فضل بن ماهان.
- الدولة الهبارية بالسند سنة ٢٤٠ هـ ومؤسسها عمر بن عبد العزيز الهباري.
- الدولة السامية بملتان سنة ٢٧٩ هـ ومؤسسها محمد بن القاسم السامي.
- الدولة الإسماعيلية بملتان سنة ٣٧٥ هـ ومن أبرز حكامها جلم بن شيبان.
- الدولة المعدانية في مكران سنة ٣٤٠ هـ ومؤسسها عيسى بن معدان. وقد انقرضت كلها على يد الغزنويين أو الغوريين.

- خضعت الهند للدولة الغزنوية في الفترة (٣٦٦- ٥٨٢ هـ/ ٩٧٦- ١١٨٦م)، وأبرز حكام الغزنويين السلطان محمود الذي غزا الهند ١٧ غزوةً، انتصر فيها جميعًا، فكانت كل سنة تقريبًا تشهد إحدى غزواته للهند، وأخضع البنجاب والملتان وأجزاء كبيرة من الهند وله جهود بارزة في نشر الإسلام. وهو أعظم سلطان مسلم حكم الهند. وقد جعلها دولة موحدة بدل الدويلات والإمارات الكثيرة المتفرقة.

بعدها خضعت للدولة الغورية في الفترة (٥٨٢- ٦٠٢ هـ/ ١١٨٦- ١٢٠٥م)، وقد ساهموا في نشر الإسلام في الهند، وفتحوا شمال الهند، ووصلوا إلى البنغال.

الدول الإسلامية في الهند (سلاطين دلهي):

هناك خمس دول إسلامية كبيرة حكمت الهند في الفترة من بعد الغوريين إلى أن قامت بالهند إمبراطورية المغول الكبرى (أي في الفترة ٦٠٢- ٩٣٢ هـ/ ١٢٠٦- ١٥٢٦م). وهذه الدول هي:

سلاطين المماليك ٦٠٢- ٦٨٦ هـ/١٢٠٦- ١٢٨٧ م:

وهي تعتبر أول دولة إسلامية مستقلة بالهند. فقبلًا كانت تابعة ضمن أملاك الغزنويين والغوريين. وأول سلاطين المماليك قطب الدين أيبك، وكان قائدًا لجيوش الغوريين. واستولى على السلطة بعدهم. وخلفه شمس الدين ايلتمش. وهو أعظم الحكام المماليك. انتهى أمر المماليك بانتقال السلطة إلى أسرة الخلجي.

الدولة الخلجية: ٦٨٩- ٧٢٠ هـ/١٢٩٠- ١٣٢٠ م:

ومؤسس هذه الدولة هو جلال الدين فيروز شاه، وكان نائبًا للمماليك. وقد وسَّعت هذه الدولة نطاق المنطقة الإسلامية في الهند فشملت الدكن والبنغال وجيتور والكجرات. وخلف جلال الدين ابن أخيه علاء الدين محمد شاه وهو أعظم سلاطين هذه الدولة وفي أيامه زحف المغول على الهند فحقق عليهم انتصارات عظيمة وكان اتساع الدولة في عهده، مما جعله يلقب بالإسكندر الثاني، وبعده قام الصراع بين أولاده، فتفككت الدولة، فاستولى عليها أخيرًا تغلق.

الدولة التغلقية ٧٢٠- ٨١٥ هـ/١٣٢٠- ١٤١٢ م:

كان قيام الدولة على يد غياث الدين تغلق وهو تركي الأصل، وكان من القواد العسكريين وسمي الغازي لكثرة انتصاراته على المغول. قضى عليه ابنه محمد وصعد إلى السلطة. وأبرز حكام الدولة هو فيروز شاه. وبعده ماجت الهند بالخلافات، وفي أواخر عهدهم اكتسح تيمورلنك بلاد الهند، ووصل إلى دلهي. ثم غادرها سريعًا تاركًا إياها تعاني من التخريب والتدمير والصراعات إلى أن قامت دولة الخضر خانية.

دولة السادات (الخضر خانية) ٨١٧- ٨٤٧ هـ/١٤١٤- ١٤٤٣ م:

وهي دولة قصيرة العمر ومحدودة النفوذ، إذ استقلت معظم الولايات في هذه الفترة، وقد بدأت الدولة بالسلطان/ سيد خضرخان والذي زحف إلى دلهي وادعى أنه نائب عن تيمورلنك. وتولى بعده ابنه السيد/ مبارك[1].

أسرة اللوديين ٨٥٥- ٩٣٢ هـ/١٤٥١- ١٥٢٦ م:

كانت هذه الأسرة تحكم في لاهور، وعند اضطراب الأحوال في دلهي زحف إليها بهلول اللودي (مؤسس الأسرة) وسيطر عليها، ثم وسع نفوذه في جنوب ووسط الهند، وكان عهده مستقرًا وبعده تولى ابنه إسكندر بن بهلول، وبعده ابنه إبراهيم الذي اضطربت البلاد في عهده فزحف إليها بابر المغولي وضمها ليكون بها إمبراطورية المغولي العظمى في الهند.

- ويأتي الحديث عنها في الباب القادم -

ملوك المقاطعات:

لم تكن الهند في هذه المرحلة ذات وحدة سياسية واحدة فإضافة إلى الملك في دلهي كان ملوك آخرين يحكمون المقاطعات الكبيرة في أنحاء الهند المترامية الأطراف.

وأهم ملوك المقاطعات:

١- **كشمير**: أبرز من حكمها أسرة شمس الدين شاه ميرزا في الفترة (٧٤٤- ٩٧٠ هـ/ ١٣٤٣- ١٥٦٢م)، وفي عام ٩٩٥ هـ/ ١٠٨٦ م سيطرت عليها الأسرة التيمورية.

(١) تاريخ الإسلام في الهند/ عبد المنعم النمر.

٢- **السند**: أبرز الأسرة الحاكمة: سام ماني ثم ستمكان ثم أسرة شاه بيك القندهاري، تعاقبت هذه الأسر خلال الفترة (٨٦٥- ٩٩٥ هـ/ ١٤٦٠- ١٠٨٦م).

٣- **البنجاب**: كانت تتبع ملوك دلهي، ثم حكمتها أسرة الأفغاني رايصهره إلى عام ٩٣٢ هـ/ ١٥٢٦ م حيث احتلها بابر شاه التيموري.

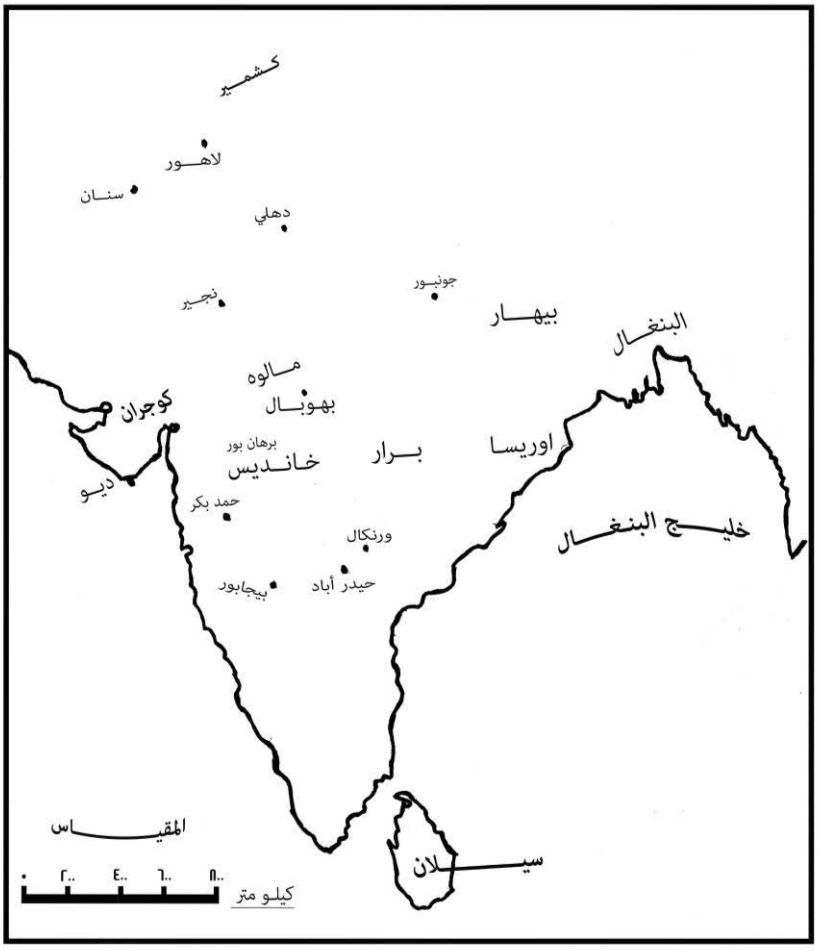
٤- **كوجرات (غرب الهند)**: حكمت أسرة مظفر شاه خلال الفترة (٨١٠- ٩٩٢ هـ/ ١٤٠٧- ١٥٨٤م) ثم سيطر عليها التيموريون.

٥- **جونبور (وسط الهند)**: كانت تتبع ملوك دلهي. حتى استقلت بها أسرة خواجه جهان سرور خلال الفترة (٧٩٦- ٨٨١ هـ/ ١٣٩٣- ١٤٧٦م).

٦- **البنغال (شرق الهند)**: كانت منطقة فوضى واضطرابات فخضعت لأسرٍ كثيرةٍ.

٧- **الدكن (جنوب الهند)**: حكمت الأسرة البهنمية (٧٣٠- ٩٢٩ هـ/ ١٣٢٩- ١٥٢٢م) وهناك غيرهم كثيرون.

ثم قامت في الهند إمبراطورية المغول العظمى. ودامت ثلاثة قرون ومؤسسها هو الإمبراطور ظهير الدين بابر. وهذه الإمبراطورية جعلت الهند وحدة سياسية واحدة متكاملة ومترابطة. وأنهت معظم الدويلات والإمارات المتفرقة.


كشمير
لاهور
سنان
دهلي
جونبور
نجير
بيهار
البنغال
مالوه
بهوبال
كوجران
برهان بور
خاندیس
برار
اوريسا
ديو
حمد بكر
ورنكال
خليج البنغال
حيدر أباد
بيجابور
المقياس
سيلان
٠ ٢٠٠ ٤٠٠ ٦٠٠ ٨٠٠
كيلو متر

الفصل الخامس
الإسلام في الجزر وجنوب شرق آسيا

في الفترة (٦٥٦- ٩٢٣هـ)

في هذه الفترة توقفت الفتوحات، وضعفت الخلافة، وتجزأت الدولة الإسلامية، فانتشر الإسلام في مناطق لم تطأها أقدام الفاتحين عن طريق التجار، والدعاة.

ونسجل الملاحظات التالية:

- دول جنوب شرق آسيا (في العصر الحديث) هي: بورما- لاوس- فيتنام- كمبوديا- تايلند- الفلبين- ماليزيا- سنغافورة- أندونيسا- وبروناي.

وكلها امتداد لقارة آسيا ما عدا أندونيسيا والفلبين وسنغافورة فهي جزر في المحيط.

- انتشر الإسلام في الجزر التي لم تكن امتدادًا لأرض الصين وهي جزر أندونيسيا والفلبين ولم يستمر في الفلبين لخضوعها المبكر لأسبانيا الصليبية.

- انتشرت أديان الصين في الأقطار التي تعد امتدادًا لأرضها وهي بورما وتايلاند وكمبوديا ولاوس وفيتنام. وأنقذ الإسلام الملايو (جزء من ماليزيا حاليًا) قبل أن تذوب في الزحف الصيني[1].

دخول الإسلام في الملايو وأندونيسيا:

عقدت ندوة علمية في سنة ١٩٦٣ م في مدينة ميدان بأندونسيا تدارست أمر دخول الإسلام في أندونيسيا.

---

(١) موسوعة التاريخ الإسلامي. د/ أحمد شلبي جـ٨.

وقررت الندوة ما يلي:

- دخل الإسلام إلى أندونيسيا أول مرة بالقرن الأول الهجري/ السابع الميلادي ومن بلاد العرب مباشرة.

- وأول منطقة دخلت الإسلام سواحل سومطرة الشمالية، وأنه بعد تكوين المجتمع الإسلامي تكونت أول مملكة إسلامية. وهي مملكة (آتشه).

- الدعاة الأولين كان أغلبهم من التجار، والدعوة كانت سلمية[1].

تكوين الممالك الإسلامية بالملايو وأندونيسيا:

بدأ الإسلام بوجود أفراد مسلمين من العرب، أو من أهل الجزر أنفسهم الذين اعتنقوا الإسلام، وبجهود هؤلاء انتشر الإسلام رويدًا رويدًا وببطء، وخطا انتشار الإسلام خطوة كبيرة عندما تولى الدعوة له رجال متخصصون دعاة وبعد هذه المرحلة تكونت الممالك الإسلامية في هذه الجزر. وأهم هذه الممالك ما يلي:

- مملكة ملقا ٨٠٣- ٩١٧هـ/ ١٤٠٠- ١٥١١م.
- مملكة آتشه ٩٢٠- ١٣٢٢هـ/ ١٥١٤- ١٩٠٤م.
- مملكة ديماك ٩١٨- ٩٦٠هـ/ ١٥١٢- ١٥٥٢م.
- مملكة بنتان ٩٦٠- ١٠٩٦هـ/ ١٥٥٢- ١٦٨٤م.
- مملكة غووا (مكسر) ١٠٧٨هـ/ ١٦٦٧م.
- ممالك شبه جزيرة الملايو (عقب سقوط ملقا).

(١) الإسلام في أندونيسيا/ محمد ضياء وعبد الله بن نوح، ص ٩- ١٠.

ملقا ٨٠٣- ٩١٧ هـ/١٤٠٠- ١٥١١ م:

مدينة ساحلية يعتقد أنها كانت أقدم نقطة ارتكاز إسلامي في أندونيسيا كان يحكمها أمراء هندوس حتى أسلم الأمير إسكندر شاه فتبعه أكثر قومه ثم أصبحت ملقا مركزًا للدعوة الإسلامية بجانب كونها مركزًا تجاريًا عظيمًا. ومات إسكندر شاه سنة ٨٢٨ هـ/ ١٤٢٤ م. وتوسعت ملقا فأصبحت إمبراطورية واسعة الأرجاء تضم شبه جزيرة الملايو كلها وجزءًا كبيرًا من سومطرة. وقد حملت لواء الإسلام للخارج فنشرته في جزر آسيا الجنوبية والشرقية. ومن أعظم سلاطين ملقا محمد شاه، منصور شاه، ومحمود شاه، تعرضت للغزو البرتغالي بعد اكتشاف رأس الرجاء الصالح. وسقطت في يد البرتغال سنة ٩١٧ هـ/ ١٥١١ م.

الإسلام في الفلبين:

الفلبين إحدى دول جنوب شرق آسيا، وتتكون من عدة آلاف من الجزر تبلغ حوالي ٧٠٠٠ جزيرة، وسكان الفلبين هم من الجنس الأندونيسي الملايوي، وقد انتشر الإسلام في هذه الجزر في نفس الوقت وبنفس الطريقة التي انتشر بها في أندونيسيا ويذكر الباحثون أن الإسلام دخلها عن طريق سومطرة والملايو. وكانت البدايات حوالي عام ٢٧٠ هـ/ ٨٨٣ م.

وعقب انتشار الإسلام بها قامت بها سلطنات إسلامية. وكان أغلب سلاطينها من العلماء الذين حملوا الإسلام إليها.

ويعتبر الشريف (محمد كابولج) الذي قدم من ملقا إلى الفلبين في القرن ١٠ هـ/ ١٦ م من أهم الذين نشروا الإسلام فيها، وأسس هناك أسرة حاكمة قوية، وأهم السلطنات التي قامت في هذه الفترة سلطنات سولو وما جينداناو وبويان وهي إمارات مركزية ويتبعها عدد من الجزر ثم زحفت أسبانيا الصليبية إلى الفلبين سنة ٩٢٨ هـ/ ١٥٢١ م ودمرت الوجود الإسلامي.

المسلمون في الصين:

وصل الإسلام إلى الصين في عهد مبكر جدًا. وتذكر الروايات أن رجلًا من أسرة سعد بن أبي وقاص أو أن اسمه وقاص وصل للصين في عهد مبكر وقام بالدعوة هناك. وله ضريح هناك حتى الآن يحمل اسم (ضريح وقاص)[1].

عصر المغول في الصين ٦٧٦- ٧٦٩ هـ/١٢٧٧- ١٣٦٧ م:

ويسمى عصر (يوان) وفيه أخذ المسلمون، ينهضون بسرعة كبيرة كما تدفق عدد من مسلمي آسيا الوسطى على الصين.

ومما سبب زيادة انتشار الإسلام في عهد المغول أن بعض أباطرة المغول الصينيين المسلمين اشترطوا الإسلام لتولي الوظائف.

وبعد عصر المغول عاد الحكم إلى الصينيين. وجاءت أسرة منغ (١٣٦٨- ١٦٤٣م) ثم عصر تسنغ (١٦٤٤- ١٩١١م) ولاقى المسلمون بعض العنت من هذا الحكم. وزار الرحالة ابن بطوطة الصين في هذه الفترة. ووصف حياة المسلمين وذكر أنهم معظمون ومحترمون في الصين.

الإسلام في المالديف:

هي عبارة عن مجموعة جزر تقع في المحيط الهندي. جنوب غرب الهند وسريلانكا وصلها الإسلام عن طريق التجار والدعاة حوالي ١٨٩ هـ/ ٨٠٤ م. وأبرز الدعاة الشيخ حافظ المغربي، وقد أسلم على يديه ملك البلاد البوذي سنة ٥٤٨ هـ/ ١١٥٣ م ثم أسلم معه كافة السكان، وفي سنة ٧٤٤ هـ قدم الرحالة ابن بطوطة إلى المنطقة وعمل قاضيًا لفترة. واستمر الوضع هادئًا إلى أن احتلها البرتغاليون سنة ٩١٣ هـ/ ١٥٠٧ م.



(١) تاريخ الإسلام/ لمحمود شاكر٨/ ٣١٢، وموجز التاريخ الإسلامي لأحمد شلبي ٦/ ٢٣٥.

الفصل السادس
المغرب والأندلس وغرب أفريقية

(٦٥٦- ٩٢٣هـ)

أولاً: دول المغرب:

الدولة المرينية في المغرب (مراكش) (٦١٠- ٨٦٩ هـ/١٢١٣- ١٤٦٤م):

يعود أصلهم إلى البربر من قبيلة زناتة، وقد كانوا بدوًا يتنقلون في الصحاري، ولا يخضعون لأحد. أول زعيم عرف لهم المخضب بن عسكر (قتل سنة ٥٤٠هـ). ومؤسس هذه الدولة هو عبد الحق بن محيو، الذي انتقل بقبيلته إلى المغرب الأقصى، فاستقروا في حصتي (تازوط) سنة ٦١٠ هـ، وقاتلوا الموحدين، ودخلوا مكناس سنة ٦٤٢ هـ. خاضوا عدة حروب مع النصارى سنة ٦٦٠ هـ/ ١٢٦٠ م.

من زعمائهم البارزين يعقوب بن عبد الحق (٦٥٦- ٦٨٥هـ) الذي أخضع كثير من مدن المغرب. حتى قضى على دولة الموحدين سنة ٦٧٤ هـ/ ١٢٧٥ م.

وفي الفترة (٦٧٤- ٦٨٣هـ) حقق انتصارات على النصارى في الأندلس، ويعتبر عهده أنضر عهود الدولة.

اشتهر من زعمائهم: علي أبو الحسن المنصور (٧٣١- ٧٥٢هـ) الذي امتد نفوذه على المغرب والجزائر وتونس. انتهوا سنة ٨٦٩ هـ. قضى عليهم خلافاتهم الداخلية، وحروبهم الطويلة مع إماراتي تلمسان وتونس، وتكتل النصارى ضدهم في معاركهم بالأندلس. لما ضعف أمرهم استولى بنو وطاس على الحكم واستبدوا به.

دولة بني وطاس (٨٧٥- ٩٦١ هـ/١٤٧٠- ١٥٥٣م):

جاءوا بعد المرينيين، وهم فرع منهم، وليسوا من الأسرة الحاكمة أبرز زعمائهم المؤسس محمد بن يحيى الوطاسي (٨٧٥- ٩١٠هـ) الذي استولى على فاس، فأقام دولته. وفي عهده سقطت الأندلس، ولجأ آخر ملوك غرناطة إلى بني وطاس ليعيش في حمايتهم، وفي أيامهم احتلت البرتغال شواطئ المغرب استولت الدولة السعدية على فاس. وقضت على بني وطاس سنة ٩٦١ هـ.

دولة بني زيان (عبد الواد) في المغرب الأوسط (الجزائر) في الفترة (٦٢٧- ٩٦٢ هـ/١٢٢٩- ١٥٥٤م)[1]:

لما دب الضعف في جسم الموحدين، وتفككت دولتهم استقل بنو زيان في الجزائر، حيث كانوا ولاتها من قبل الموحدين، وقد اتخذوا من تلمسان عاصمة دولتهم، ومؤسس الدولة هو جابر بن يوسف من بني عبد الواد، الذي دخل مدينة ترمسان سنة ٦٢٧هـ، فضبط أمورها، وأبرز حكامها يغمراسن بن زيان (٦٣٣- ٦٨١هـ) ويعتبر المؤسس الحقيقي للدولة، وأعظم ملوكها، وقد بذل جهودًا عظيمة في تثبيت ملكهم. وخاض حروبًا كثيرة. انتصر في معظمها، وفي القرنين الأخيرين من عمر الدولة، عاشت البلاد أسوأ فتراتها من اضطرابات وثورات، وضربات الفرنجة إلى أن سقطت في أيدي العثمانيين.

بسط العثمانيون نفوذهم على أجزاء من المغرب الأوسط سنة ٩٥٠ هـ، وسيطر الأسبان على بعض السواحل، انتهت الدولة سنة ٩٦٢ هـ، ومن حكامها البارزين: موسى الثاني أبو حمو (٧٦٠- ٧٩١هـ) ويعتبر عهده أزهى عهود الدولة.

---

(١) صور وبطولات/ عبد الحليم عويس، ص١٠١.

الدولة الحفصية بتونس ٦٢٥- ٩٨١ هـ/١٢٢٧- ١٥٧٣ م:

أصلهم سلالة بربرية من قبيلة مصمودة، ينتسبون إلى أبي حفص عمر الهنتاني أحد أتباع بن تومرت (مؤسس دولة الموحدين)، فبعد ما دب الضعف في أوصال الموحدين، استولى أبو زكريا يحيى على تونس سنة ٦٢٥ هـ/ ١٢٢٧ م واستقل بها، وأزهى عصور الدولة هو عصر أبي زكريا وابنه محمد (المستنصر) حيث التوسع الخارجي والاستقرار الداخلي.

حكمت هذه الدولة تونس والجزائر الشرقية وطرابلس الغرب. ووصل نفوذهم إلى مكة عام ٦٥٧ هـ في أواخر عهدهم، دبت الخلافات بينهم، وزادت الثورات والفتن، فأصابهم الضعف والخور. ومنذ عام ٩٠٠ هـ بدأ النصارى يحتلون مناطق من المغرب بعد أن استولوا على الأندلس، وفي الفترة (٩٤٢- ٩٨١هـ) خضعت تونس لأسبانيا بعد أن ارتكبوا مذابح رهيبة في البلاد، ثم ضمتها الدولة العثمانية عام ٩٨١ هـ.

وأبرز حكام الدولة:

١- المؤسس يحيى أبو زكريا ٦٢٥- ٦٤٧ هـ/ ١٢٢٧- ١٢٤٩ م.

٢- أبو عبد الله محمد الأول ٦٤٧- ٦٧٥ هـ/ ١٢٤٩- ١٢٧٦ م.

٣- أبو فارس عبد العزيز ٧٩٧- ٨٣٨ هـ/ ١٣٩٤- ١٤٣٤ م.

٤- أبو عمر عثمان ٨٣٩- ٨٩٣ هـ/ ١٤٣٥- ١٤٨٧ م.

وجدير بالذكر أن هذه الدول الثلاث قامت في الشمال الأفريقي على أنقاض دولة الموحدين بعد هزيمتهم في موقعة العقاب أمام النصارى سنة ٦٠٩ هـ/ ١٢١٢ م.

ثانيًا: أفريقيا:

يجدر أن نشير إلى أن العصر التاريخي لأفريقية السوداء لم يبدأ إلا مع الإسلام. وأن بالإسلام ولغته، وحضارته تقدم السود، وبلغوا شأوًا عظيمًا في المدنية[1].

أفريقيا الغربية:

بدأ الإسلام ينتشر في الصحراء الإفريقية أيام ولاية عمرو بن العاص سنة ٤١ هـ، وكان أبرز الفاتحين في المنطقة عقبة بن نافع. الذي واصل فتوحاته حتى فتح الطريق إلى بلاد السودان سنة ٦٠ هـ/ ٦٧٩ م.

وصل موسى بن نصير إلى المحيط الأطلسي غرب أفريقية ونشر الإسلام بين قبائل البربر سنة ٧٩ هـ/ ٦٩٨ م. وكان لدولة الأدارسة جهود في نشر الإسلام هناك. كذلك المرابطون استطاعوا في سنة ٤٦٩ هـ/ ١٠٧٦ م فتح عاصمة إمبراطورية غانا (كومبي صالح) وأن ينشروا الإسلام في جميع البلاد، فامتدت ديار الإسلام في أفريقية مساحة جديدة تقرب من نصف مليون كم٢[2].

قامت عدة ممالك في غرب أفريقيا أهمها:

مملكة مالي (٦٣٩- ٨٩٤ هـ/١٢٤٠- ١٤٨٨م):

وهي أعظم مملكة إسلامية قامت في أفريقيا الغربية، امتدت هذه الإمبراطورية من جبال الأطلس غربًا إلى بلاد الهوسا شرقًا. ومن المحيط الأطلس جنوبًا حتى الصحراء الكبرى شمالًا. وقد شغلت في تلك الفترة مواقع الدول التالية اليوم (موريتانيا، السنغال، غامبيا، غينيا، مالي، ساحل العاج، ليبيريا، سيراليون) وكان لهذه الدولة جهود عظيمة في نشر الإسلام هناك.

---

(١) إمبراطورية غانة الإسلامية/ الدكتور طرخام، ص ١٠.

(٢) العهد العباسي/ محمود شاكر، ص ٣٦٠.

مؤسس هذه الدولة هو سند ياتا (ماري جاطة) ٦٣٩- ٦٥٣ هـ/ ١٢٤٠- ١٢٥٥م. ومن أعظم ملوكها منسي موسى (٧١٢- ٧٣٨ هـ/ ١٣٠٧- ١٣٣٢م).

مملكة الصنغاي (٨٦٩- ١٠٠٠ هـ/١٤٦٤- ١٥٩١م):

قامت على أنقاض مملكة مالي، ومؤسسها الذي أعاد لها حريتها واستقلالها عن مالي هو سنِّي علي حوالي عام ٧٨٣ هـ/ ١٣٨١ م، وأبرز ملوكها اسكيا محمد (٨٩٩- ٩٣٥ هـ/ ١٤٩٣- ١٥٢٨م) الذي كان له جهاد طويل مع الوثنيين لنشر الإسلام فوصل إلى المحيط الأطلسي غربًا. وشرقًا إلى تشاد.

ضمت هذه الإمبراطورية كل مملكة مالي، ثم امتدت إلى أكثر من ذلك، وبخاصة في الناحية الشرقية والجنوبية. فدخلت إلى مناطق وسط أفريقية.

نهاية الإمبراطورية:

وجه الملك أحمد المنصور، أعظم ملوك الأشراف الحسنيين بمراكش جيوشه إلى صنغاي. منتهزًا فرصة الخلافات الداخلية التي أضعفت حكامها فاستطاع القضاء على الإمبراطورية. وإخضاع بعض مناطقها.

وقامت في السنغال ممالك التكرور ثم الفولاني ثم الولاف فيما بين القرن الخامس والعاشر الهجري/ ١١- ١٦ م. وكان لها دور في نشر الإسلام.

وسط أفريقية:

قامت عدة ممالك إسلامية أهمها مملكة كانم (بين القرن الخامس والعاشر الهجري) وقد وصلت في جهادها لنشر الإسلام إلى النيجر غربًا، وواداي شرقًا. ولم ينتشر الإسلام في المنطقة إلا بعد القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي.

وبعد سقوط الأندلس اتجه النصارى إلى أفريقية. ووصلوا إلى رأس الرجاء الصالح. وبدأت عمليات التنصير.

ثالثًا: الأندلس:

دولة بني نصر (الأحمر) في غرناطة (٦٣٥- ٨٩٧ هـ/١٢٣٧-١٤٩٢م):

بعد أن ضعفت سيطرة الموحدين في الأندلس. عادت وتفككت إلى إمارات صغيرة ضعيفة متناحرة. فزاد ضغط النصارى على المسلمين.

برز في هذه الفترة أبو عبد الله محمد بن يوسف من بني نصر الدين (٦٣٥- ٦٧١هـ) واستطاع أن يسيطر على غرناطة.

في هذه الفترة سقطت باقي مدن الأندلس بأيدي النصارى الواحدة تلو الأخرى فسقطت قرطبة، بلنسية، دانية، جيان، شاطبة، أشبيليه، مرسيه، وغيرها في الفترة (٦٣٣- ٦٦٥هـ) فلم يبق بأيدي المسلمين إلا غرناطة.

وقد رغبت الدولة العثمانية التي وصلت إلى قوة كبيرة آنذاك في مساعدة إخوانهم في المغرب والأندلس. فتقدمت في أوروبا غير أن الضعف كان وصل هناك إلى درجة كبيرة، فرأى العثمانيون فتح جبهات برية وبحرية لهم في بلاد المغرب. ولكن بعض الأمراء المسلمين وقفوا في وجههم وحاربوهم وبسقوط غرناطة في يد النصارى خرجت الأندلس نهائيًا من أيدي المسلمين. إذ كانت غرناطة آخر معقل لهم، قام النصارى بعد ذلك بإبادة المسلمين وتنصيرهم لإزالة الحضارة الإسلامية التي استمرت ثمانية قرون في الأندلس.

